القَلْب

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦

الطمأنينة:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ، وتلا هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ **ثم التفت إليه فقال: يا بن أم سليم، ترى في من أنزلت هذه الآية؟ فينا وفي شيعتنا، قلت: ومن يدعي الإسلام {و} ليس من شيعتكم؟ قال: نعم، تباعدهم من الإسلام عداوتهم لأهل بيتي وتقربهم من اليهودية والنصرانية.**

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: تدري في من نزلت؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: في من صدّق بي، وآمن بي، وأحبّك وعترتك من بعدك، وسلم لك الأمر والأئمة من بعدك.

عين القلب

عن رسول الله ﷺ: ما من عبد إلا وفي وجهه عينان (كذا) يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد بعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه، فأبصر بهما ما وعده بالغيب، فآمن بالغيب على الغيب.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: ألا إن للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه، فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل

قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أُخبرك أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك، أنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟

فقال أبوجعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل. ثم قال أبوجعفر عليه السلام: أما إنّ أصحاب محمد ﷺ قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق. فقال صلى الله عليه وآله: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكّرتنا و رغّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنّا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك، وحتى كأنا لم نكن على شيء؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا، إنّ هذه خطوات الشيطان فيرّغبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا، ثم يستغفروا الله فيغفر [الله] لهم، إنّ المؤمن مفتن توّاب، أما سمعت قول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢

وقال: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ هود: ٥٢

العبادة بسكون القلب

في بيان الطمأنينة جاء في كتاب الآداب المعنوية للصلاة للإمام الخميني قدس سره:

من الآداب المهمة المهمة القلبية للعبادات – وخصوصاً العبادات الذكرية – الطمأنينة. وهذه غير الطمأنينة التي اعتبرها الفقهاء رضوان الله عليهم في خصوص الصلاة، فهذه عبارة عن أن السالك يأتي بالعبادة مع سكون القلب، واطمئنان الخاطر، لأن العبادة إذا أتي بها في حال اضطراب القلب وتزلزله فالقلب لا ينفعل بمثل هذه العبادة ولا يحصل أثر من العبادة في ملكوت القلب ولا تصير حقيقة العبادة صورة باطنية للقلب، والحال إن من إحدى جهات تكرار العبادات وتكثير الأذكار والأوراد أن يتأثر القلب منها وينفعل حتى يتشكل باطن السالك شيئا فشيئا من حقيقة الذكر والعبادة، ويتحد قلبه بروح العبادة، وطالما لم يكن للقلب اطمئنان وسكون وطمأنينة ووقار لم يكن للأذكار والنسك فيه تأثير ولا يسري أثر العبادة في ظاهر البدن وملكه إلى ملكوته وباطنه ولا يؤدي إلى القلب حظوظة من العبادة.